

ليكون عالماً من علماء الأزهر ، تم الأدب العربي الذي عيّر اتحاهه إليه لدى أول عهده بالجامعة ، ثم انتهى به الطريق إلى أن يكون أستاذاً له بها ، فاتصل بنماذجه المختلفة شعراً ونثراً ، درساً ونقداً وتحليلاً ، وقد منحه هذا الرافد سلامة في اللغة ، وطلاقة في التعبير وفصاحة في الأسلوب ، ووصله بكل خصائص الأسلوب العربي ومقوماته الأصيلة ، ومع هذا الرافد العربي كان هناك الرافد الفرنسي الذي بدا اتصاله متصلاً به بعد ذلك طول حياته ، وهو اتصال يسرته له ، وأتاحته له بصورة مستمرة رفيقة حياته الفرنسية التي تشاركته رحلة العمر ، وقد أضفى هذا الاتصال المتصل على أسلوبه تلك الأناقة وتلك الشفافية وتلك الموسيقى العذبة التي تمتاز بها اللغة الفرنسية ، وأيضاً تلك الرومانسية التي عرف بها الأدب الفرنسي في هذه المرحلة من تاريخه ، وإلى جانب هذين الرافدين كان هناك الرافد اليوناني القديم الذي تعمق دراسته في أثناء إقامته بفرنسا ، ثم ظل متصلاً به بعد عودته منها حين عهد إليه بتدريس الحضارة اليونانية بالجامعة المصرية لدى أول عهده بالتدريس بها ، وقد أضفى الأدب اليوناني على أسلوبه تلك الكلاسيكية الرصينة التي أرسى هذا الأدب أصولها وتقاليدها ومفوماتها الفنية ، وأمدّه الفكر اليوناني برصيد ضخم من الثقافات العقلية والفلسفية والمنطقية أكسبت أسلوبه دقة في الصنعة وإحكاماً في التعبير وتماسكاً بين العبارات والأفكار .

تفاعلت هذه العوامل الثلاثة في إبداع هذا الأسلوب المتميز الذي عرف به طه حسين ، وتدفعت الروافد بمزيد من العطاء الحصب الثرى ، وظهر الأديب العبقرى بأسلوبه الساحر الذي كان ثورة على الأساليب الأدبية التي كانت سائدة في النثر العربي قبل عصره بما أعاده إليه من نصاعة البيان العربي ، وفصاحة الجملة العربية وسلاسة العبارة الأدبية ، وبما أضفى عليه من مزاجية بارعة بين خصائص الأسلوب الرومانس الفرنسي ، ومن هذا المزاج الدقيق